مجلة جامعة الملك سعود، م ١٠، الآداب (١)، ص ص ١٤٣-١٧٢ (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

أثر المذاهب الدينية في نجاح بعض الممالك الجرمانية وسقوط بعضها الآخر بين عامي ٤١٢ و ٨٠٠م

عائشة سعيد أبو الجدايل
أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر بتاريخ ٢/ ٩/ ١٤١٦هـ ؛ وقبل للنشر في ٩/ ٢/ ١٤١٧هـ)

ملخص البحث. دانت القبائل الجرمانية التي هاجرت إلى منطقة الشرق الأوربي والتي حطت رحالها على شواطىء الدانوب، بالديانة المسيحية على المذهب الأريوسي، وقدر لهذه القبائل أن تكون لنفسها مكانًا ومستقرًا على شكل ممالك في الغرب الأوربي على أنقاض الإمبراطورية الرومانية، وقد وقفت الكنيسة الكاثوليكية وقفة المحارب، ولم تسمح للمذهب الأريوسي الممقوت لديها بالبقاء على أرضها طويلاً، وقد سقطت هذه الممالك نتيجة اعتناقهم للمذهب الأريوسي حتى بعد أن تحول بعضها إلى المذهب الكاثوليكي، مثل دولة القوط الغربيين والبرجنديين واللمبارديين. ومن الملاحظ أنه في ظل الحكام الأريوسيين عاش الرعايا الرومان منفصلين عنهم عقائديًا واجتماعيًا، ولم يكن هناك من رابط يربطهم أو يقربهم من الحكام سوى رباط التبعية المشتركة للحكم الجرماني.

بينما نجد أن الجرمان الذين دخلوا في الديانة المسيحية ودانوا بالكاثوليكية قد كتب لهم النجاح والاستمرار، مثل دولة الفرنجة التي استطاعت إزالة الفوارق والعوائق التي كانت تقف في وجه غيرهم من الجرمان للتقارب والامتزاج بين الشعوب الجرمانية من جهة، وبين السكان الأصليين ورجال الدين من جهة أخرى. وليس أدل على ذلك من تحالف البابوية مع دولة الفرنجة، ذلك التحالف الذي أعطى حكامها فرصة لتكوين إمبراطورية رومانية مقدسة منافسة للإمبراطورية الرومانية في الشرق.

إن هذا الموضوع له أبعاد فلسفية عامة تشير إلى أهمية المعتقدات في العلاقات الإنسانية، سواء كانت علاقات اجتماعية عادية أو حتى علاقات على المستوى السياسي، أي تلك التي بين الحاكم والمحكوم.

فمن العوامل الشائعة في قيام الدول وسقوطها الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية أو كلها مجتمعة، ولكن هناك عامل آخر مغاير ولافت للنظر، وهو سبب قيام بعض الممالك الجرمانية، وهو السبب نفسه في سقوط البعض الآخر، ألا وهو العامل الديني. وعلى الرغم من وجود بعض العوامل الأخرى المساندة، يبقى المذهب الديني هو السبب المباشر في قضية نجاح تلك الممالك أو فشلها.

وعلى هذه الفكرة قام هذا البحث الذي يهدف إلى إبراز أثر المذاهب الدينية في نجاح بعض الممالك الجرمانية واستمراريتها وسقوط بعضها الآخر. وسوف نستعرض الممالك الجرمانية التي قامت في الغرب الأوربي لنبرز عوامل نجاح تلك الممالك أو فشلها في ظل اعتناقها الديانة المسيحية على مذهب معين، وسوف يكون ترتيب هذه الممالك وفقًا لتاريخ قيامها، بادئين بأقدم الممالك التي قامت في الغرب الأوربي.

عندما هاجر الجرمان إلى حدود الإمبراطورية الرومانية(١) كانو لا يزالون على وثنيتهم،(٢) ولقد اعتنق الجرمان الشرقيون الديانة المسيحية على المذهب

---

(١) لتفاصيل أكثر عن هجرة الجرمان وأسبابها إلى حدود الإمبراطورية الرومانية. انظر: Martin Bang, "Expansion of the Teutons" in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge; University Press, 1975). 1:192. ولتقسيم الجرمان إلى شرقيين وغربيين انظر: إبراهيم طرخان، *دولة القوط الغربيين* (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥٨م)، ٦؛ R.H.C. Davis, *A History of Medieval Europe* (London: Longman, 1970-1981), 21 وأيضًا: هـ. ا. ل. فيشر، *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*، ترجمة محمد مصطفى زيادة، ط٦ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م)، ١: ١٦.

(٢) لتفاصيل أكثر عن الديانة الجرمانية الوثنية انظر: B. Phillpotts, "Germanic Heathanisim," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1981), 2: 481؛ وأيضًا: إبراهيم طرخان، *تاكيتوس والشعوب الجرمانية، دراسة وترجمة وتحقيق* (القاهرة: دار الضياء، د. ت.)، ٥٥؛ وأيضًا: *The Agricola and Germany of Tacitus*, trans. A.J. Church and W. J Brodribb (London: Macmillans, 1885), 87-107.

الأريوسي،[٣] وهو المذهب الذي استنكره رجال الدين الغربيون في مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م، واعتبروا المؤمن بذلك المذهب عدواً للمسيح، وبالتالي اعتبر عدواً للكاثوليك الغربيين أنفسهم،[٤] ولذلك ناصب رجال الدين الغربيون العداء لكل من آمن بذلك المذهب.

مملكة القوط الغربيين (٤١٢ - ٧١١م)[٥]

وأثبتت الدراسات الحديثة[٦] أن ملوك القوط الغربيين قد تعصبوا لأريوسيتهم ونظموا كنائسهم وفقًا لذلك، كما أثبتت أنهم تركوا الكنائس الكاثوليكية بدون أن يتدخلوا في شؤونها.[٧] وعلى الرغم من ذلك، ظل رعاياهم منفصلين عنهم عقائديّاً واجتماعيّاً مدة طويلة، ولم يكن هناك من رابط يربط بين الرعايا أو يقرب فيما بينهم سوى رباط التبعية المشتركة للحاكم القوطي.[٨]

وقد ثبت أن الحياة السياسية والإدارية لم تتغير بل بقيت كما كانت عليه في أيدي الرومان، ولكن التغيير الذي حدث تمثل في شخصية الحاكم، وهو أمر لم يكن للرومان اعتراض عليه، حيث إنهم لم يقاوموا وجودهم كحكام ولكن قاوموا الاختلاط بهم

---

(٣) لتفاصيل أكثر عن تحول الجرمان إلى الديانة المسيحية انظر: Davis, *History*, 84; R.U.J.P. Whitney, The Conversion of the Teutons," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1981), 2:515 وأيضًا: طرخان، *دولة القوط*، ٤٢؛ ولتفاصيل أكثر عن الأريوسية انظر: H.M. Gwatkin, "Arianism," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1975), 1:118-20.

(٤) فيشر، *تاريخ أوربا*، ١: ١٨.

(٥) *The Gothic History of Jordanes*, trans. C.C. Miercow (Princeton: Princeton University Press, 1915), 89-93. لتفاصيل أكثر عن قيام مملكة القوط الغربيين انظر: Ludwig Schmidt, "Teutonic Kingdoms in Gaul, (A) the Visigoths in Gaul," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1975), 1:412-507.

(٦) طرخان، *دولة القوط*، ١٥١-١٥٥ وما يليها.

(٧) Schmidt, "Visigoths," 29.

(٨) طرخان، *دولة القوط*، ١٥٥.

كأشخاص يؤمنون بعقيدة مخالفة لعقيدة الرومان.[٩] وأدرك القوط الغربيون هذه الحقيقة، ومن ثم تأرجحت سياستهم الدينية بين التعصب والتسامح، ومع ذلك بقي الرعايا الكاثوليك على ما هم عليه من كره دفين نحوهم، وقد ظل القوط الغربيون متسامحين مع رعاياهم الكاثوليك حتى تولى العرش الملك يوريك Euric (٤٤٦-٤٨٦م)،[١٠] فانقلبت سياسة التسامح الديني التي اتبعها أسلافه إلى نوبة من الاضطهاد العنيف ضد الكاثوليك. وترجع شدة تعصب يوريك للمذهب الأريوسي إلى عدة أسباب أهمها: شدة المقاومة التي لقيها خلال فتوحه في بلاد الغال، فضلاً عن قوته وبطشه، واشتهر هذا الملك بالمزج بين العقيدة والوطنية، ومن هنا أصبح يشار إلى المذهب بأنه العقيدة القوطية la foi gothique. ووصفه أسقف كلير مونت، سيدونيوس أبو ليناريوس Sidonius Appollinarius، وهو الذي تزعم حركة الدفاع ضد يوريك، بأنه صاحب مذهب أكثر منه رئيس دولة.[١١] وقد تعرض هذا الأسقف للنفي ومصادرة الأموال على يد يوريك الذي أعدم الكثير من الأساقفة الكاثوليك.

أما الاريك الثاني Alaric II (٤٨٥-٥٠٧م)،[١٢] فقد كان أكثر تسامحًا مع الكاثوليك، وذلك لأغراض سياسية، فسمح لهم بعقد مجلس ديني خاص بهم عام ٥٠٦.[١٣] أما كلوفيس Clovis، ملك الفرنجة فقد اعتنق المسيحية الكاثوليكية بعد وقعة سواسون،[١٤] ورأى أن الفرنجة أصبحوا بعد انتصارهم في تلك الواقعة الورثة الحقيقيين

---

(٩) Margaret Deanesly, *A History of Early Medieval Europe from 471-911* (London: Methuens, 1963), 79
وأيضًا: Schmidt, "Visigoths," 291.

(١٠) طرخان، *دولة القوط*، ٩٥، ١٥٧.

(١١) طرخان، *دولة القوط*، ١٥٧؛ وأيضًا: Schmidt, "Visigoths," 291. وأيضًا: R. Altamira, "Spain under the Visigoths," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1981), 2:159-66.

(١٢) Altamira, "Spain," 159-66.

(١٣) أيضًا: طرخان، *دولة القوط*، ١٥٧.

(١٤) لتفاصيل أكثر عن الملك كلوفس ومعاركه للاستيلاء على غالة، انظر: Gregory of Tours, *History of the Franks*, trans. O.M. Daltan (Oxford: Claredon Press, 1927), Book 11, 167-69 وأيضًا: P.Fister, "Gaul under Merovingian Franks," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1981), 2:114-117.

للولاية الرومانية في الغال، ورحب بهم الغاليون. ونتيجة لاعتناق كلوفيس المسيحية على المذهب الكاثوليكي مال الرعايا الرومان إلى جانبه. وقام كلوفيس بحركة توسعية على حساب القوط الغربيين، واتخذت حروبه ضدهم صفة دينية عام ٥٠٧م، فعقد حلفًا مع البرجنديين، كما قام بمفاوضات مع البيزنطيين في عهد الإمبراطور أنستاسيوس (ت ٥١٨م)، وعندما قامت الحرب بين الأحلاف والقوط انتهت باستيلاء الفرنجة على أملاك القوط الغربيين في غالة.

وبين عامي ٥٣١ و٥٤٨م، انتقل القوط الغربيون رسميًا من غالة واستقروا في أسبانيا، وأصبحت برشلونة عاصمة الدولة القوطية.[١٥] وقرر الملك أجيلا Agila (٥٤٩-٥٥٤م)، الذي كان يكره الكاثوليك، نقل العاصمة إلى مدينة ماردة Merida، ليكون في موضع أنسب لبسط سيادته الفعلية على حكام الأقاليم الذين ثاروا ضده في مدينة قرطبة وهزموه وقتلوا ابنه.[١٦]

أما أثاناجلد Athanaglid (٥٥٤-٥٦٧م)، وهو المنافس لأجيلا على العرش القوطي، والذي استنجد بالإمبراطور جستينيان، فقد لجأ إلى تحسين العلاقة مع الكاثوليك، وأخذ بأهداب الحضارة البيزنطية، بل وصاهر الفرنجة الكاثوليك فزوج ابنتيه أمراء من البيت المالك الفرنجي. ونتيجة لهذه السياسة رشح الرعايا الغاليون للقوط أخاه ليوفا Liufa ليكون ملكًا عليهم. وقد اشترك هذا مع أخيه ليوفجلد Leovigild عام ٥٦٨م في الحكم،[١٧] وكان الأخير رئيسًا للحزب القوطي، وقد عارض سياسة الميل نحو بيزنطة والتقاليد الرومانية. وكانت أهدافه السياسية هي إخضاع جميع شبه جزيرة ايبريا (أسبانيا) تحت حكمه، لذلك حارب البيزنطيين وطردهم من بعض المناطق التي احتلوها في جنوب أسبانيا،[١٨] وقمع ثورة قرطبة ضده بعنف، ونكل بالكاثوليك أسوأ تنكيل، كما حارب الفرنجة وهزمهم. وبالرغم من تعصبه الشديد للأريوسيين إلا

---

(١٥) Deanesly, *History*, 98.

(١٦) Altamira, "Spain," 163.

(١٧) Altamira, "Spain," 164.

(١٨) لتفاصيل أكثر عن الفرص التي انتهزها جستنيان لدخول أسبانيا انظر: A. H. M. Jones, *The Later Roman Empire 248-602*, 3 vols. (Oxford: Blackwell, 1973), 1:276. وأيضًا: طرخان، *دولة القوط*، ١٠٣-١٠٤.

أنه لم يقس على الأساقفة الكاثوليك الذين شكلوا خطراً سياسيّا على سيادته في أسبانيا؛ أما باقي الرعايا الكاثوليك فقد تسامح معهم بعد ذلك.[١٩]

وقد ظهرت بوادر التحول إلى الكاثوليكية في عهد الملك ليوفجلد Leovigild (٥٦٩-٥٨٦م)، وكان أكبر أبنائه هرمنجلد (Hermenglid)، وقد تزوج من الأميرة إنجندس Ingundis، وهي أميرة كاثوليكية من أستراسيا Austrasia. وحاول الملك ليوفجلد أن يحول الأميرة إلى الأريوسية فرفضت، ولذلك أرسلها وزوجها إلى أشبلية للعيش فيها خوفًا من الانقسام العائلي. وفي أشبلية وقع الزوجان تحت تأثير أسقف المدينة ليندر Leander، وكان على درجة عالية من الثقافة الدينية. وبفضل تأثير هذا الأسقف تحول الأمير هرمنجلد إلى الكاثوليكية عام ٥٧٩م، وحين سمع بذلك أهالي الأندلس تحمسوا له ونادوا به ملكًا، ونظراً لأن الأب كان يحاول توحيد أسبانيا كلها تحت زعامة حكومة أريوسية، كتب إلى ابنه بالرجوع إلى الأريوسية، ولكن الابن رفض ذلك.[٢٠] وقد قامت الحرب بين الأب وابنه بسبب تحول الابن إلى الكاثوليكية، ووقف إلى جانب الابن الملك مير Mir، ملك السويفي الذي تحول إلى الكاثوليكية منذ عام ٥٦٠م.[٢١]

وكانت تصرفات الابن خطيرة على سياسة أبيه الدينية والحربية، حيث دخل الابن في مفاوضات لتكوين محالفة بينه وبين بيزنطة والبسكاويين والنبلاء الرومان والرعايا الكاثوليك ضد الأب. ولم يجد الأب بدًا من شن حرب ضد ابنه وحلفائه، وانتهت بذبح الابن ولجوء زوجته إلى أفريقيا البيزنطية، واستيلاء الملك ليوفجلد على عدد من مدن السويف التي ضمت فيما بعد إلى مملكة القوط الغربيين.

أما حروب الملك ليوفجلد ضد الكاثوليك، فقد تمت على النحو التالي: أولاً جمع كل الأساقفة الكاثوليك في مجمع عام في طليطلة عام ٥٨٠م، وأخذ يغريهم

(١٩) Altamira, "Spain," 165 وأيضًا: طرخان، *دولة القوط*، ١٥٨.

(٢٠) طرخان، *دولة القوط*، ١٥٩؛ وأيضًا: Altamira, "Spain," 168 لم تكن شبه جزيرة إيبيريا (أسبانيا) تحت الحكم القوطي كلها في ذلك الوقت، فقد كان في الجنوب الدولة البيزنطية، والسويف في منطقة غاليسيا، والبشكش (البسكاويون) في الشمال؛ لتفاصيل أكثر انظر: طرخان، *دولة القوط*، ١٠٥؛ وأيضًا: محمد محمد مرسي الشيخ، *الممالك الجرمانية في أوربا في العصور الوسطى* (الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، ١٩٧٥م)، ٧٩-٨١.

(٢١) Altamira, "Spain," 188-96.

باعتناق الأريوسية، وقد وافق بعض الأساقفة مثل فنسنت Vincent، أسقف سرقوص، غير أن أغلبهم رفضوا اعتناق الأريوسية فاضطهدهم أشد الاضطهاد، ونفى البعض وأعدم البعض الآخر، كما أعدم بعض النبلاء الكاثوليك وصادر أموال الكنيسة الكاثوليكية.(٢٢)

وجاء الملك ركارد Recard (٥٨٦-٦٠١م)، ليضع حدًا للتوتر القائم بين القوط الأريوسيين وبين الرعايا الكاثوليك، فأعلن اعتناقه للكاثوليكية عام ٥٨٧م. ومنذ عهد الملك ركارد صار ملوك القوط الغربيين على المذهب الكاثوليكي باستثناء ويترك Witter-ic (٦٠١-٦٠٣م) الذي فشل في إعادة الأريوسية. وكل من جاء بعده (٦٠٣-٧١١م) عمل على تدعيم المذهب الكاثوليكي، وذلك بقصد سياسة التقريب بين القوط والرعايا الرومان.(٢٣) وكان لهذا التحول أثره البالغ في استقرار الأحوال الداخلية لدولة القوط الغربيين، كما امتد ذلك الاثر إلى العلاقات الخارجية إذ تحسنت علاقة القوط الغربيين بالبابوية وبالدولة البيزنطية.(٢٤)

وقد تحول الاضطهاد بعد ذلك العهد من الاضطهاد المذهبي ضد الكاثوليك إلى اضطهاد اليهود الأسبان،(٢٥) وذلك بأن أصدر ملوك القوط عدة تشريعات ضد اليهود، وأهمها ما بدأ به الملك آلاريك الثاني (٤٨٤-٥٠٧م) حين أصدر مجموعة من القوانين Breviarum ضمنها عدة بنود تحرم على اليهود الزواج من المسيحيات أو اقتناء عبيد مسيحيين أو الاشتغال في وظائف الدولة، مع ترك الحرية الدينية لهم، يمارسونها وفق تقاليدهم وطقوسهم. وفي عهد ركارد (بالذات في عام ٥٨٩م) جددت تلك القوانين، وتقرر اتباع سياسة العنف ضد اليهود، وكذلك تعميد الأطفال اليهود الذين جاؤوا نتيجة الزواج المختلط، وحرمان اليهود من الوظائف ومنعهم من شراء عبيد مسيحيين.

(٢٢) Altamira, "Spain," 169 وأيضًا: طرخان، *دولة القوط*، ١٠٦-١١٢؛ Deanesly, *History*, 103.

(٢٣) Deanesly, *History*, 102 وأيضًا: طرخان، *دولة القوط*، ١٦٤؛ ولتفاصيل أكثر انظر: Altamira "Spain," 171.

(٢٤) Altamira, "Spain," 171-72.

(٢٥) لتفاصيل أكثر عن اليهود في أسبانيا ووجودهم في المناطق الاستراتيجية، انظر: لومبارد موريس، *الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي*، ترجمة عبدالرحمن حميد (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)؛ وأيضًا: طرخان، *دولة القوط*، ١٦٤-١٦٧.

وتابع الملك سيسبت Sisebut (٦١٢-٦٢١م) سياسة الاضطهاد ضد اليهود، حيث قام بمذبحة لليهود عام ٦١٦م، وأمر جميع اليهود باعتناق المسيحية، وأعطى لهم فرصة عام واحد ليفعلوا ذلك. فإذا انتهت المدة وظلوا على عقيدتهم اليهودية، يعذبون وينفون وتصادر أموالهم. ونتيجة لذلك الأمر اعتنق المسيحية حوالي ٢٠ ألف يهودي خشية البطش بهم. ويذكر أن هذا الاعتناق أو التحول إلى المسيحية كان ظاهريًا، فقد ظلوا يمارسون طقوسهم سراً ويعلمونها لأطفالهم.[٢٦]

وقد خففت تلك الإجراءات عن اليهود نتيجة لانعقاد مجلس طليطلة عام ٦٢٣م، الذي أصدر عدة قوانين تتعلق باليهود، ينص أحدها على عدم إجبار يهودي على اعتناق المسيحية. ولكن القرار الذي أصدره مجلس طليطلة المنعقد عام ٦٣٨م، نص على تحريم العرش القوطي في المستقبل على أي ملك ما لم يتعهد بإصدار المراسيم العنيفة ضد اليهود، واستمر القوط على سياستهم تلك حتى أصدر الملك ركسونت Re-ceswinth في سنة ٦٧٢م قانونًا برجم المعارضين للعقيدة المسيحية أو إحراقهم أحياء، وكان ذلك بناء على قرارات مجلس طليطلة المنعقدة سنة ٦٥٣م، بعد أن لاحظ أن أعداد اليهود مازالت كبيرة في أسبانيا وأن كثيراً منهم لم يزل يمارس عقيدته سراً.[٢٧]

أما القرارات التي أصدرها مجلس طليطلة المنعقد عام ٦٨١م في عهد الملك إروج Erwig (٦٨٠-٦٨٧م)، فكانت أقوى القرارات التي صدرت ضد اليهود، وأشملها تنكيلاً وعنتًا، وجاءت في وقت كانت فيه الفتوح الإسلامية تقترب من دولة القوط الغربية في أسبانيا. ويشير ألتاميرا Altamira[٢٨] إلى ذلك بقوله: «لم يكن لدى اليهود مانع من التطلع إلى المساعدة الخارجية) وبالغ الملك أجيكا Egica (٦٨٧-٧٠١م) في اضطهاد اليهود، وبطش بهم بطشاً شديدًا. وامتدت فترة اضطهاد اليهود في أسبانيا نحو ثمانين عامًا. وقد قام اليهود في عهد أجيكا، في عام ٦٩٤م، بتدبير مؤامرة مع اليهود المقيمين في المغرب، ومع اليهود المنفيين في أسبانيا، ومع بربر شمال إفريقيا، واتفق

---

(٢٦) Altamira, "Spain," 103-77.

(٢٧) Deanesly, *History*, 105.

(٢٨) Altamira, "Spain," 179-81.

الجميع على إشعال نار الثورة في أماكن مختلفة في وقت واحد على أن يتقدم يهود أفريقية في الوقت المتفق عليه إلى شواطىء أسبانيا، كما اتفق اليهود مع العرب على مساعدتهم شرط أن يمنحهم العرب حريتهم.[٢٩] وقد افتضح أمر هذه المؤامرة وانتهت بالفشل.

ثم بدأت حرب أهلية نتيجة لإقدام الملك أجيكا على تعيين ابنه ويتزا Witiza [٣٠] (٧٠٠ - ٧٠١ أو ٧٠٩م) خارقًا بذلك نظام الانتخابات المعروف لدى القوط، وظهرت معارضة شديدة تزعمها رودريك Roderic،[٣١] فهو شقيق ويتزا الذي طالب بولاية العرش، بينما كان ويتزا قد أوصى بأن يخلفه ابنه أشيلا Achilla من بعده. ويذكر أن أشيلا وأتباعه طلبوا من عرب أفريقيا المساعدة ضد رودريك، وهكذا انقسمت البلاد إلى حزبين كلاهما يطلب المساعدة الخارجية، هذا إلى جانب محاولة استمالة طبقة العبيد والمدنيين المساجين.[٣٢]

وفي الوقت الذي امتنع عدد من النبلاء عن تأييد أشيلا لصغر سنه انتهز عمه رودريك الفرصة واستولى على السلطة بتأييد من الكنيسة. وقام رودريك بتجهيز جيش عام ٧٠٩م، ونجح في تحطيم المقاومين أو المعارضين الذين هربوا إلى سبتة.

ولأن رودريك قد اغتصب السلطة اغتصابًا نهضت في وجهه عدة حركات من جانب المقاومة، وأدى ذلك إلى خلق هوة كبيرة بين جهاز الحكم وبين جماهير الشعب، وانتهت إلى طلب المساعدة الخارجية.

لقد لجأ القوط الأريوسيون إلى سياسة الاضطهاد الديني مع رعاياهم الكاثوليك، وعندما رأوا أن ملكهم اهتز اعتنقوا هم أنفسهم المذهب الكاثوليكي وتصالحوا مع رجال الكنيسة الكاثوليكية، وقام رجال الكنيسة (وكانوا يجتمعون في المجالس الوطنية «مجلس طليطلة» لإقرار الشؤون الهامة في الدولة) بإصدار قرارات لاضطهاد اليهود،

---

(٢٩) Ibid., 181 ؛ وأيضًا: طرخان، *دولة القوط*، ١٨٨-١٩٩ ؛ ١٦٧-١٦٩.

(٣٠) Witiza ڤيتزا ورد اسمه غيطشه في المصادر العربية، كما يطلق العرب على Rodric اسم لذريق، والذي كان يشغل وظيفة حاكم الأندلس.

(٣١) Deanesly, *History*, 106.

(٣٢) بسام العسلي، *فن الحرب الإسلامي* (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٦م)، ٢: ٢٤٥-٢٤٦.

الذين كونوا طائفة كبيرة العدد في أسبانيا، وكان نهاية هذا الاضطهاد الديني تدبير المؤامرات للإطاحة بالدولة.

مملكة الوندال في شمال أفريقيا (٤٢٩-٥٣٣م)

استقر الوندال[٣٣] في أفريقيا بعد التنقل في كل من غالة وأسبانيا بين عامي ٤٠٨ و٤٢٨م، ولقد استقروا في منطقة كانت تعتبر مخزن الغلال لأوربا ومحجة الجرمان الباحثين عن الطعام والمأوى، وكان ملكهم جزريك Gaisric هو الذي أدار دفة الغزو إلى أفريقيا لأنه أدرك أن من يسود أفريقيا يمسك بيديه مفتاح إيطاليا، واستطاع الوندال أن يسيطروا على خط تموين الزيت والذرة، الذي كان يعتبر خط الحياة لأوربا. وتعرضت البحار للخطر، ولم يكن هذا هو الخطر الوحيد الذي شكله وجود الجرمان في شمال أفريقيا، فالخطر الحقيقي كان يكمن في طبيعة الشعب الوندالي الذي كان من أكثر الشعوب الجرمانية الأريوسية وحشية.[٣٤]

وكان مجرد ذكر اسم الوندال كافياً لإثارة الذعر في نفوس الناس، وكان أكثرهم هلعًا هم رجال الدين الكاثوليك بسبب ما عرف عن الوندال الأريوسيين من كره شديد للكاثوليك.[٣٥] وينقل عبيد[٣٦] عن المؤرخ اللاتيني فيكتور دي فيتا Victor de Vita وصفه للوندال: «ولم يكن يثير جنونهم أكثر من مشهد الكنائس والأديرة والمنابر (فلقد أشعلوا

---

(٣٣) للتعريف بالوندال انظر: Procopius, *A History of Wars, the Vandalic Wars* (Cambridge, Mass. : Harvard University Press, 1954), Book 3, 2:8, 39;3؛ وأيضًا: Jones, *Later,* 1:254؛ لتفاصيل أكثر عن الغزو الوندالي لشمال أفريقيا، انظر: Ludwig Schmidt, "The Sueve, Alans and Vandals in Spain 400-420," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1975), 73-86; Ludwig Schmidt, "The Vandals, Dominion in Africa 229-533," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1975), 1:307.

(٣٤) Thomas Hodgkin, *Italy and Her Invaders,* 8 vols. (Oxford: Clarendon Press, 1919), 2: 284-89. ؛ أيضًا: والاس هاريل، *أوربا في صدر العصور الوسطى*، ترجمة حياة ناصر الحجي (الكويت: مؤسسة الصباح، ١٩٧٩م)، ٦٤.

(٣٥) إسحاق عبيد، *من ألاريك إلى جستنيان*، ط١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م)، ٨٣.

(٣٦) عبيد، *من ألاريك*، ٨٤؛ أيضًا: هارديل، *أوربا*، ٦٤-٦٥.

النيران في قلب بيوت العبادة بطريقة لم تشهدها القرى والمدن من قبل) . وتدل قسوة ووحشية الوندال مع الكنائس على أمرين، الأول: رغبتهم في الاستيلاء على ما تحتويه تلك الكنائس من مخزون مالي من ذهب وفضة وأوراق ثمينة؛ الثاني: مقاومة رجال الدين الكاثوليك للغزو الوندالي لشمال أفريقيا . ولكن يبدو أن تلك المقاومة باءت بالفشل فلجأ رجال الدين إلى الهروب من وجه الوندال . » وينقل عبيد[٣٧] قول كل من كودفا تيدوس Qudvutedus، شماس مدينة قرطاج، وهونورات Honorat، أسقف مدينة تبينا Thiabena، وفيه تفسير لموقف رجال الدين الكاثوليك من الوندال، هذا العدو الغاشم: «لقد فتشنا في الكتب المقدسة ووجدنا فيها نصحًا بالهرب من وجه الشرير فلقد قيل: ومتى طردوكم من هذه المدينة فاهربوا إلى المدن الأخرى، كما أن المسيح نفسه هرب إلى أرض مصر من وجه ملك اليهود الطاغية هيرودوس «خذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك . »[٣٨]

وتبدأ قصة تعذيب الكاثوليك من رجال الدين والشعب والعبث بالكنائس والإساءة إلى الراهبات منذ أن كان الوندال يحاصرون مدن شمال أفريقيا، ففي حصار الوندال لبوابات قرطاج هرب أعداد كثيرة من الناس إلى الجنوب، ولكن الوندال قتلوهم عن بكرة أبيهم، وكان من بينهم بامبنيانوس أسقف ثيبتا الذي قتل على أيدي جند الملك جزريك Gaisric (٤٣٩-٤٧٧م) . وعندما اقتحم الوندال أسوار قرطاج في التاسع من أكتوبر سنة ٤٤٩م، نهبوا الكنائس واعتدوا على حرمات النبيلات في المدينة وخربوا كتدرائية قرطاج وحولوا بعض الكنائس إلى اسطبلات للخيول . وقد قام جزريك بنفي كودفولتيدوس Qudvultedus، أسقف قرطاج، ورجاله جميعًا على ظهر إحدى السفن إلى نابلي، وهناك كتب كودفولتيدوس مقالاً مطولاً عن الفظائع التي ارتكبها الوندال في شمال أفريقيا .

وذهب الملك جزريك إلى أبعد من ذلك، حيث فرض المذهب الأريوسي على كل فرد في شمال أفريقيا واضطهد كل ما هو غير أريوسي .[٣٩] وهذا التعصب الديني

---

(٣٧) عبيد، *من ألاريك*، ٨٤ .

(٣٨) عبيد، *من ألاريك*، ٨٨ .

(٣٩) Charles Oman, *The Dark Ages 476-918* (London: Rivingtons, 1962), 11.

هو السبب المباشر في جعل حكم الوندال غير مستقر في شمال أفريقيا، إذ استمر الملوك بعد جزريك على السياسة الدينية المتعصبة نفسها. وبالرغم من أن الملك هونريك Huneric (٤٧٧-٤٨٤م) كان متزوجًا من الأميرة الرومانية إيدوكيا Eadocia (وهي ابنة الإمبراطور فالنسيان الثالث، ٤٢٥-٤٥٥م التي أسرت أثناء غارة الوندال على روما سنة ٤٥٥م، إلا أنه لم يتأثر بها، ولم تستطع أن تحوله عن مذهبه الأريوسي إلى المذهب الكاثوليكي، بل وعلى العكس من ذلك كرس كل جهوده للقيام باضطهاد شديد للكاثوليكية في مملكته. ويذكر أومان[٤٠] «أن هونريك قد اغتال منذ بداية حكمه إلى نهايته حوالي أربعين ألف شخص.» ويقول جريجوري التوري[٤١] أن هونريك كان أكثر شدة من غيره في اضطهاد الكاثوليك.

وقد اتسم عهد الملك ثراساموند Thrasamund (٤٩٦-٥٢٣م) باضطهاد الكاثوليك، وجدد أيام الرعب التي شهدتها البلاد على عهد هونريك، فنفى العديد من الأساقفة إلى جزيرة سردينا، وكان من بينهم أسقف قرطاج نفسه. ويفسر شميت[٤٢] أن سبب ذلك في محاولة كل من هونريك وثراساموند فرض المذهب الأريوسي في مملكتهما، وقوبل ذلك بالرفض من قبل الكاثوليك الذين كانوا عرضة للاضطهاد العنيف.

وفي سنة ٥٢٣م تولى العرش هيلدريك Hilderic ابن هونريك وأيدوكيا، وقد أخذ الملك تراساموند من هيلدريك ميثاقًا بألا يعيد الكاثوليك المبعدين، سواء إلى كنائسهم أو إلى امتيازاتهم التي حرموا منها، ولكن هيلدريك حنث بوعده وأعاد رجال الدين المبعدين وانتخب جماعة أخرى بدلاً من أولئك الذين ماتوا.[٤٣]

وبناء على ذلك لاقى هيلدريك الكثير من المصاعب خلال فترة حكمه، ويبدو أن تعاطفه مع الكاثوليك كان المصدر الأكبر للفتن في عصره، وقد قام ابن أخيه جيلمر Geilmer بالاستيلاء على العرش وأودع هيلدريك السجن. ونتيجة لذلك أعلن

---

(٤٠) Oman, *Dark*, Ages, 11. ؛ وأيضًا: عبيد، *من ألاريك*، ١٢٢-١٢٤.

(٤١) Gregory of Tours, *History*, 11:2.

(٤٢) Schmidt, "Vandals," 312.

(٤٣) Ibid., 313.

الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) غضبه بسبب اعتقال ملك كاثوليكي، وأرسل حملته الشهيرة بقصد الانتقام للملك هيلدريك متعللاً بأن الأريوسيين قد جعلوا الحياة بائسة بالنسبة للكاثوليك في أفريقيا. (٤٤) وتعتبر حملة الإمبراطور جستنيان على الوندال نوعًا من الحروب الصليبية؛ لأنها اتخذت من الدين غطاء لفكرة استرداد شمال أفريقيا من الوندال الأريوسيين. (٤٥)

ونتيجة لهذه المعاملة الدينية السيئة استحق الوندال أن يوصموا بالوصمة التي أطلقها الفرنسيون عليهم في القرن الثامن الميلادي، حيث وصفوا كل ما هو همجي وبربري بل وكل عمليات التخريب في الممتلكات العامة بـ vandalism، وهي الكلمة التي أصبحت مرادفًا للهمجية والوحشية في اللغات الأوربية الحديثة. (٤٦)

البرجنديون (٤٤٣ - ٥٣٢م)

كان البرجنديون من الجرمان الشرقيين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية على المذهب الأريوسي. ولكنهم في الوقت نفسه كانوا محالفين للإمبراطورية الرومانية، حيث إنهم دخلوا الإمبراطورية الرومانية كجنود مرتزقة ومعاهدين. (٤٧) وقد أسسوا مملكة لهم في ورمز Worms، ثم انتقلوا بعدها إلى إقليم سافوي في الأرض الواقعة بين جنيف «في سويسرا الحالية،» وجرينوبل «جنوب فرنسا الحالية.»(٤٨)

وتعرضت مملكة البرجنديين للهزيمة الساحقة على أيدي الهون Huns سنة ٤٣٦م، وتولى الحكم بيت جديد لعب أفراده دوراً بارزاً في تاريخ المملكة الجديدة، وقد استقر البرجنديون في سابوديا Sapaudia سنة ٤٤٣م بموافقة القائد الروماني أيتيوس Aetius، وقوّوا مركزهم وأخذوا في التوسع فيما حولهم. وللحفاظ على وجودهم شاركوا القائد الروماني أيتيوس في جهوده في صد الهون. (٤٩) واستفادوا من علاقتهم

(٤٤) Deanesly, *History*, 80-82. ؛ وأيضًا: الشيخ، *الممالك الجرمانية*، ١٢٩.

(٤٥) Oman, *Dark Ages*,76.

(٤٦) R.H.C. Davis, *A History of Medieval Europe From Constantine to St. Louis* (London: Longman, 1970), 25.

(٤٧) عبيد، *من ألاريك*، ٧٧-٨٠.

(٤٨) عبيد، *من ألاريك*، ٧٧-٨٠.

(٤٩) Davis, *History*, 25.

بالامبراطور الروماني Valentinian الثالث (ت ٤٥٥م)، فدخلوا في خدمة الإمبراطورية في غالة، في سنة ٤٥٦م قاموا بحملة عسكرية في أسبانيا ضد السويفيين، وبهذا نرى أنهم كانوا محالفين للإمبراطورية من الناحية العسكرية. (٥٠)

ويبدو أنهم انتهزوا فرصة ذلك التحالف لمد نفوذهم في الجهات المجاورة، فأخذوا في التوسع جنوب شرق غالة حين وصل الإمبراطور ماجوريان (ت٤٦١) إلى غالة لمحاولة إعادة السلطة الرومانية فيها، فعاد البرجنديون إلى حدود طاعة الإمبراطورية، وبعد وفاة الإمبراطور سنة ٤٦١م عادوا إلى ممارسة التوسع. فامتد توسعهم من ليون Lyon إلى فيين Vienna، ثم فيفاري فيما بين ٤٦١ و ٤٧٠م. وعند وفاة الملك جونجرك سنة ٤٧٣م كان ابن جندوباد (٤٨٠-٥١٦م) قد عين حاكماً رومانيًا على يد أولبيريوس Olhbrius، فانتهز جندوباد الفرصة ومد حكمه من سهول شمباجنا Cham-pagne إلى ديورنس Durance.

وعلى الرغم من أن البرجنديين كانوا على صلة طيبة من الناحية السياسية بالرومان والإمبراطورية الرومانية، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية عانت الكثير على أيديهم لكونهم من الأريوسيين. ومع أن الملك جندوباد قد اعتنق الكاثوليكية سنة ٥٠٠م لكي يكسب رضا الأهالي الرومان من جهة والكنيسة من جهة أخرى، وأقام تحالفًا بينه وبين كلوفس ملك الفرنجة للقضاء على مملكة القوط الغربيين الأريوسيين في غالة، (٥١) إلا أن كراهية الكنيسة الكاثوليكية للبرجنديين من جهة وأطماع كلوفس من جهة أخرى قضت على تلك المحاولات.

فإذا كان جندوباد قد كفل لمملكته الاستمرار فترة من الزمن بتحوله إلى الكاثوليكية وتحالفه مع كلوفس وولائه للإمبراطورية الرومانية، إلا أن خلفاءه لم يستطيعوا الوقوف في وجه اختلاف المصالح وتضارب الأهواء في غالة، والوقوف أمام جيران اشتد طمعهم فيهم، وهكذا فشلوا في مقاومة أطماع الفرنجة أصحاب أقوى مملكة في غالة. (٥٢)

---

(٥٠) الشيخ، *الممالك الجرمانية*، ١٣٧-١٣٨.

(٥١) Gregory of Tours, *History*, 11:31.

(٥٢) Oman, *Dark Ages*, 116.

ونظرًا لتغلب الفرنجة على منطقة غالة، وهم الذين اعتنقوا المسيحية على المذهب الكاثوليكي، وكانو الأكثر شعبية بين الرومان، خصوصًا وأن الملك كلوفس صور حروبه ضد الأريوسية على أنها حروب صليبية ضد الهرطقة الأريوسية. (٥٣)

في سنة ٥٢٣م قام الملك الفرنجي كلودومير Chlodomer، ابن كلوفس، بقتل ملك البرجنديين، وذلك بتحريض من والدته كلوتيلدا Clotilda، (٥٤) وذلك لكي يأخذ بثأر والديها اللذين لاقا مصرعهما على يد الملك جندوباد.

وكان قتل ملك البرجنديين سجسموند Sigismund أمرًا هينًا بالنسبة لملك الفرنجة، حيث إن ملك البرجنديين كان لا يستطيع الحصول على مساعدة من صهره السابق، الملك ثيودوريك، ملك إيطاليا، (٥٥) وذلك لأنه قام بقتل حفيد ثيودوريك لابنته بتحريض من زوجة أبيه. كما أنه لم يحصل على مساعدة البرجنديين أنفسهم، لأنهم كانوا في حالة فتور ضده، وقد يعود ذلك إلى أنهم يميلون إلى الأريوسية وأن سجسموند Sigismund قد تحول إلى الكاثوليكية.

وقد وقف زوج ابنته Theuderic(٥٦) إلى جانب شقيقه كلودمير Chlodomer الذي قبض على سجسموند Sigismund وزوجته وولديه وقام بذبحهم جميعًا، وألقاهم في بئر في قرية قرب أورليان Orlean.

وبعد إحدى عشرة سنة من ذلك التاريخ، أتم الفرنجة فتح برجنديا وضمها إلى مملكتهم. (٥٧) وقد اعتبر الملك سجسموند Sigismund قديسًا يحج الناس إلى ضريحه طلبًا للشفاء من الحمى. (٥٨)

---

(٥٣) عبيد، *من ألاريك*، ١٠٧.

(٥٤) هي أميرة برجندية، ابنة شقيق الملك جندوباد.

(٥٥) كان سجسيموند متزوجًا من ابنة ثيودوريك الملك القوطي الشرقي، وقد قام بذبح ابنه منها، لذا فإن ثيودوريك تحالف مع الفرنجة وهاجم معهم برجنديا.

(٥٦) كانت ابنة سجسيموند متزوجة من أمير إفرنجي هو ثيودوريك ابن كلوفس.

(٥٧) F. Pakton, "Power and the Power to Heal, the Cult of Sigismund of Burgundy," *The Journal of Early Medieval Europe*, 2 no. 1 (1993), 95.

(٥٨) Pakton, "Power," 95؛ حول موضوع قصة تحول الملك البرجندي إلى قديس انظر: Gregory of Tours, *History*, 13:3؛ أيضًا: Pakton, "Power," 106.

مملكة أدواكر في إيطاليا (٤٧٦-٤٩٣م)

وبالرغم من أريوسية أدواكر فقد احترم رجال الدين الكاثوليك(٥٩) ولكن هذا لا يعني رضاء الإيطاليين عنه بوصفه أريوسيّا، فقد قيل في هذا الصدد: «يجب ألا تعمينا مساندة بعض العائلات الرومانية له، وحياد البابا الظاهر عن رؤية كراهية الناس لأدواكر، وهو الذي أطلقت عليه الإمبراطورية البيزنطية اسم الطاغية.»(٦٠)

ومن الملاحظ أن المراجع التي تحدثت عن عهد أدواكر انصب اهتمامها على النواحي السياسية، نظرًا لأنه كوّن أول مملكة جرمانية على أنقاض الإمبراطورية الرومانية، وحيث إنه كان من رجال الجيش الإمبراطوري، ولكن وجوده في الحكم لم يأت بجديد، ولم يصحب وجوده هجرة جرمانية، أي أنه لم يأت بمجموعة جديدة من الأريوسيين لتقيم في إيطاليا، وبالتالي يكرهها الإيطاليون الكاثوليك. ولذا فإن عدم وجود احتكاك شعبي قد يكون السبب المباشر في عدم وجود خلافات دينية في عهد أدواكر.

أما عن العلاقة بين أدواكر ورجال الدين في إيطاليا فالملاحظ أن البابا Simplicus سمبلكوس (٤٦٨-٤٨٣م) نظر بعين الاعتبار إلى سلطة أدواكر، كما أن أدواكر بدوره حافظ على علاقة جيدة مع كل من البابا وأسقف رافنا إبيفينوس Epiphinius، وكذلك مع القديس سيفرنيوس Severinus وعامل الجميع بكل احترام وتقدير.(٦١) وقد سقطت مملكة أدواكر على يد ملك جرماني أريوسي أيضًا، هو ملك القوط الشرقيين يثودوريك.

ومن هنا نستنتج أن الأسباب المباشرة لسقوط مملكة أدواكر في ايطاليا ترجع من جهة إلى المنافسة بين القبائل الجرمانية على أرض الإمبراطورية في الغرب، ومن جهة أخرى إلى موقف الرومان السلبي من الصراع حول أراضي الإمبراطورية الرومانية في الغرب التي تركت مسرحًا للصراع بين القبائل الجرمانية الطامعة في أراضيها.(٦٢)

(٥٩) أدوارد جيبون، *اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها*، ترجمة لويس إسكندر (القاهرة: دار الكتاب العربي، د. ت.)، ٢: ٣١٣.

(٦٠) هادريل، *أوربا*، ٥٩؛ لتفاصيل أكثر عن أدواكر انظر: Jones, *Later*, 1:246.

(٦١) M. Domulin, The Kingdom of Italy under Odovacar and Theodoric," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1875), 1:436.

(٦٢) Hodgkin, *Italy*, 2:2:2:530.

مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا (٤٩٣ - ٥٥٥م)

حكم ثيودوريك، الملك الأريوسي القوطي، الرومان الكاثوليك في إيطاليا بعدالة جعلت حتى الأساقفة الأرثوذكس يرفعون أصواتهم بالمديح لعدالته وتواضعه.(٦٣) وقد وقف ثيودوريك في عدالته هذه موقفًا مخالفًا لكل الحكام التيوتون،(٦٤) فبينما نجد أن الملك الوندالي جزريك Gaiseric وابنه هونريك يقومان بتعذيب وبتر أعضاء الأساقفة الكاثوليك، وهو أمر ناتج عن العصبية العمياء، وكذلك كان موقفه مخالفًا للملك الفرنجي كلوفس Clovis الذي وصفه بأنه منافق أو مراء hypo-critc، وأنه قام بتعصبه المدعي للكاثوليكية ليكون ذلك سلّماً لغزو أراضي الجماعات الجرمانية من بني جلدته. وقد قال ثيودوريك عبارته النبيلة(٦٥): «نحو لا نستطيع أن نفرض الديانة على أتباعنا، حيث لا أحد يمكن أن يُجبر على اعتناق دين ضد رغبته. . . كذلك سأترك كل رجل ليستجيب إلى خالقه بالأسلوب الذي يروق له.»

لقد تقبلت الكنيسة الإيطالية ثيودوريك، وقيل إن ثيودوريك مدين بنجاحه للكنيسة التي قدمت له المساعدة بالرغم من كونه أريوسيًا، وكان الأسقف لورينتوسي Laurentius هو الذي فتح له أبواب ميلانو، وهو الذي تولى له إدارة أمور تلك المدينة المهمة. كما لعب أسقف مدينة بافيا Pavia الدور نفسه مع ثيودوريك، وقدر الأخير الفوائد التي سوف تعود عليه من الكنيسة. لذا فقد أظهر احترامه وتقديره لها في براعة وذوق منذ لحظة دخوله إيطاليا، وقد وصفه أسقف بافيا ابنفانيوس Epiphanius بأنه «النظر إليه جائزة والعيش بجانبه أمنًا وسلامًا.» وقد أودع ثيودوريك والدته وشقيقته أمانة عند «أسقف بافيا، وكان ذلك التصرف يحمل في طياته الكثير من السياسة والحكمة تضاف إلى الشعور بالمودة الذي أظهره الأسقف تجاهه. وعند دخوله رافنا في

(٦٣) Hodgkin, *Italy,* 3:4:2:440.

(٦٤) يعرف التيوتون باسم جرمان في المراجع التاريخية، كما أن المؤرخين دأبوا على وصفهم بالبرابرة. لمزيد عن تسمية الجرمان انظر: عائشة أبو الجدايل، «دراسة تحليلية لنتائج الغارات الجرمانية على إيطاليا من ٣٩٥-٥٥٥م،» رسالة ماجستير لم تنشر، ٢.

(٦٥) Hodgkin, *Italy,* 3:4:2:444.

٢٧ فبراير سنة ٤٩٣م كان أسقفها هو الوسيط بين ثيودوريك وأدواكر، وهو الذي تمت على يديه مناقشة المعاهدة بين الملكين.(٦٦)

وامتد هذا الإنصاف بالنسبة للديانة في حكم ثيودوريك إلى اليهود، وهذا دليل ليس ملائمًا فقط ولكنه بزغ من اعتقاد راسخ تمتد جذوره بعمق في عقله وتفكيره، فقد كان من السهل عليه باعتباره أريوسيًا يتعاطف مع الجماعة الأرثوذكس ويبين لهم بأنه يمكن أن يكون أقسى منهم ضد اليهود أعداء الدين المسيحي، ولكن بدلاً من ذلك، قام بمعاقبة كل من المسيحيين واليهود على حد السواء، وبالدرجة نفسها من القسوة، إذ أتته شكوى من ارتكاب جريمة من أحد من الطرفين. وقد تعرض اليهود في كل من روما وميلانو ورافنا لهجوم العامة وعوملوا معاملة سيئة، كما أحرقت معابدهم. وبالرغم من معاملة اليهود السيئة لعبيدهم في مدينة Trastevere، وإهانة اليهود الساخرة لعملية التعميد المسيحي، كان قرار ثيودوريك حازمًا بأن أنظمة الدولة يجب أن تدعم وتنفذ، وأن الذين يتجاوزون هذه التعليمات سواء كانوا يهودًا أو مسيحيين يجب معاقبتهم، وأن المعابد يجب أن يتم إعادة بنائها على حساب الذين قاموا بتخريبها وتدميرها، وأن المسؤولين عن الشغب يجب معاقبتهم.(٦٧)

وحينما زار ثيودوريك روما في سنة ٥٠٠م قام بزيارة ضريح القديس بطرس وكأنه أحد أبناء الكاثوليكية، وقد أدى هذا السلوك إلى خلق شعور بالارتياح بين الأوساط الدينية في روما. وقد قام الشاعر الروماني أنوديوس بنظم قصيدة أشاد فيها بموقف ثيودوريك قال فيها: «إنه أمن الناس على مذهبهم الكاثوليكي على الرغم من أريوسيته.»(٦٨)

ورغم تسامح ثيودوريك الديني الذي كان واضحًا في معاملته لليهود، وعلى الرغم من تأييد الكنيسة له مع أنه أريوسي، وعلى الرغم من السلام الذي تمتعت به إيطاليا طوال مدة حكمه وهي مدة ثلاثة وثلاثين عامًا، إلا أن الاضطهادات الدينية لم

(٦٦) Domulin, "Kingdom," 439.

(٦٧) Hodgkin, *Italy*, 3:4:2:140؛ وأيضًا: Domulin, "Kingdom," 453.

(٦٨) عبيد، من *ألاريك*، ١٠٣.

تتركه يهنأ بذلك السلام، وأبت إلا أن ينتهي عهده بنهاية مأساوية لا تتفق مع مبادئه الأولى التي افتتح بها عهده في إيطاليا وعلى رأسها التسامح الديني. (٦٩)

ففي سنة ٥٢٣م علم ثيودوريك أن بعض قادة مجلس الشيوخ senators يراسلون الإمبراطور الشرقي، وجاء هذاالتصرف في وقت حرج، إذ أنه في ٥٢٢م علم ثيودوريك أن حفيده قد مات، وأن والده الملك الكاثوليكي البرجندي كان وراء موته، كما علم في الوقت نفسه أن شقيقته أملا فريد Amala Frida قد سجنها الملك الوندالي الكاثوليكي هليدريك. (٧٠) وهذه الأمور كانت تسير ضد عقيدته الدينية وضد البيت المالك الذي كان عماد النظام الدولي الأوربي الجديد، وقد قادته كل هذه الظروف إلى الجنون تقريبًا. (٧١)

وكانت الشرارة التي أشعلت أوار الفتنة الدينية هي تحول الفرنجة إلى المسيحية الكاثوليكية بين عامي ٤٥٦ و ٥١٨م، ولأن الإمبراطور الشرقي في القسطنطينية جستين الأول (٥١٨-٥٢٧م) كان مسيحيًا أرثوذكسًا متعصبًا، ولهذا زادت الفرص لتحالف البيزنطيين والفرنجة ضد أريوسيي إيطاليا، وأصبح الاتحاد خطرًا على مملكة القوط الشرقية في إيطاليا، فأثار ذلك ريبة وشكًا في نفس ثيودوريك من جهة المسيحيين الكاثوليك في إيطاليا، فحرم عليهم حمل الأسلحة في سنة ٥٢٣م، (٧٢) كما أثار ذلك التحالف شكه في رجال الحكم، فقد غضب غضبًا شديدًا حين علم بوجود علاقة بين السناتور في روما والإمبراطور جستين. (٧٣) ولقد كان للسناتور الحق في الاتصال بالإمبراطور باعتباره من الناحية النظرية السيد أو الحاكم الأعلى لإيطاليا؛ أما من

---

(٦٩) Davis, *History*, 47-48.

(٧٠) Oman, *Dark Ages*, 24-26. قام ثيودوريك بعقد معاهدات سياسية بينه وبين ملوك الممالك الجرمانية من حوله، فقد بدأ بمصاهرة كلوفيس، حيث تزوج أخته، كما أنه زوج إحدى بناته لولي عهد الدولة البرجندية سجسيموند، وابنته الثالثة لألاريك ملك القوط الغربيين، وابنته أمالا فريدا إلى الملك الوندالي تراساموند (٤٩٦-٥٢٣م). وقد قام الملك هيلدريك بن تراساموند من زوجته إيودوكيا بحبسها فماتت في سجنها. انظر: Deanesly, *History*, 41.

(٧١) Hodgkin, *Italy*, 3:4:2:49.

(٧٢) Domulin, "Kingdom," 453.

(٧٣) Davis, *History*, 47-48. وأيضًا: جيبون، *اضمحلال*، ٢: ٣٧٨.

الناحية العملية، فقد اعتبر ثيودوريك الإمبراطور عدوًا، واعتبر الاتصال به خيانة للدولة. وفي سنة ٥٢٣م بعث السناتور رسالة إلى الإمبراطور اشتم ثيودوريك فيها رائحة الخيانة، فوجه تهمة الخيانة إلى Boethius ، رئيس الدواوين في ايطاليا، واتهمه مع زميل له يدعى ألبينوس Albinus بأنهما وقعا خطابًا إلى الإمبراطور الشرقي لإنقاذ إيطاليا من القوط. وبناء على ذلك ألقى بؤسيوس في سجن في برج بافيا وهناك ألف كتابه «عزاء الفلسفة» وقد قتل بؤسيوس عام ٥٢٥م، وكان قتله وصمة عار في جبين ثيودوريك. (٧٤)

وفي عامي ٥٢٥ - ٥٢٦م أوفد ثيودوريك وفدًا إلى الإمبراطور الشرقي جستنين (٥١٨-٥٢٧م) الذي قام بحركة اضطهاد كبرى ضد الأريوسيين محاولاً أن يثنيه عن هذا الاضطهاد ويقنعه بالتسامح مع الأريوسيين. وكان على رأس الوفد الذي بعث به ثيودوريك البابا يوحنا الأول، فرحب به الإمبراطور كثيرًا، وقام البابا بتتويج الإمبراطور، وهذا ما أثار حقد ثيودوريك، لأنه فسر تتويج البابا للإمبراطور على أنه إحياء للسلطة الرومانية الإمبراطورية على حساب ثيودوريك، وما أن وصل البابا إلى روما حتى أمر ثيودوريك باعتقاله وما لبث أن توفي في سجنه. وفي أغسطس ٥٢٦م أصدر ثيودوريك قرارًا بتسليم جميع الكنائس الكاثوليكية إلى الأريوسيين، غير أن هذا القرار لم ينفذ نظرًا لوفاة ثيودوريك في العام نفسه. (٧٥)

وبعد وفاته اعتلت العرش ابنته أمالا سونتا كوصية على ابنها البالغ من العمر عشر سنوات. وعند وفاة ابنها في سن الثالثة عشرة (٥٣٤م) اضطرت إلى الزواج من ابن عمها الذي انفرد بالسلطة وأمر بنفيها إلى جزيرة نائية ثم قتلها في سنة ٥٣٥م، وهذا ما أعطى جستنيان الفرصة لغزو إيطاليا. وهكذا قضى المذهب الأريوسي على مملكة القوط الشرقيين بالرغم من أنهم كانوا متسامحين.

---

(٧٤) Hodgkin, *Italy*, 3:4:2:473-64; Davis, *History*, 45-48; Deanesly, *History*, 43.

(٧٥) الشيخ، *الممالك الجرمانية*، ١٨١.

أثر اعتناق مملكة الفرنجة للديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي (٤٨٦ - ٨٠٠م)

استقر الفرنجة بعد هجراتهم الأولى على شواطىء بحر البلطيق وجزره وخاصة في حوض نهر الراين، تلك المنطقة التي أطلق عليها تاكيتوس «جرمانيا أو الأراضي الجرمانية.»(٧٦) ولم يتركوا مقرهم هذا عند الراين ولم يهجروه، وإنما أخذوا ينتشرون منه ويضيفون إليه إقليمًا بعد آخر دون أن يتخلوا عن مركزهم الأساسي أو يقطعوا صلتهم به، وقد ترتب على هذا احتفاظ الفرنجة بأصولهم وحضارتهم وحياتهم الجرمانية، واحتفاظهم كذلك بديانتهم الوثنية.

ويشير جريجوري التوري(٧٧) أن كلوفس اعتنق المسيحية على المذهب الكاثوليكي، وذلك بتأثير من زوجته كلوتلد Clotild التي كانت مسيحية على المذهب الكاثوليكي وعمدت أبناءها عليه. وبذلك خالف كلوفس بقية الممالك الجرمانية التي اعتنقت المسيحية على المذهب الأريوسي والتي ظلت ممقوتة في الغرب الأوربي. وبهذه الخطوة استطاع كلوفس أن يحدد مصير الفرنجة ومستقبل دولتهم، لأن اعتناق الفرنجة لمذهب الكنيسة الغربية جعلهم يكسبون عطف الرومان الكاثوليك وتأييدهم في جميع أرجاء غرب أوربا وهذا ما مهد لإيجاد نوع من التحالف بين البابوية وملوك الفرنجة.(٧٨)

ولا شك أن اعتناق الفرنجة الكاثوليكية قد انطوى على نتائج باهرة، فقد فتحت الكاثوليكية أمام الفرنجة فرصة ليس فقط للامتزاج بالسكان الرومان، بل شجعهم على التعاون معهم، هذا بالإضافة إلى أن الفرنجة لم يستعملوا العنف والقسوة في معاملة السكان الرومان وامتنعوا عن مصادرة أملاكهم. ويذكر جريجوري التوري(٧٩) أن الرومان قدموا لحكامهم الجدد الضرائب والخدمات وهيأوا لهم مناخًا متمدنًا وبيئة

(٧٦) طرخان، *تاكيتوس*، ٢٨.

(٧٧) وعن ظروف اعتناق كلوفس الكاثوليكية انظر: Gregory of Tours, *History*, 11:28؛ وعن تاريخ اعتناقه الكاثوليكية انظر: Pating Mark Spencer, "The Baptism of Clovis," *Early Medieval Europe Journal*, 3, No. 2 (1994), 64-77.

(٧٨) عن علاقة الفرنجة بالبابوية انظر: G.L. Burr, "The Carolingian Revolution and Frankish Intervention in Italy," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1981), 2:589.

(٧٩) Gregory of Tours, *History*, 11:36.

متحضرة ومدوهم بأسباب الرفاهية والترف، هذا بالإضافة إلى أنهم منحوا فرصة التخلص من الممالك الجرمانية في منطقة أوربا الغربية، وذلك بحجة التخلص من الهرطقة والغيرة الدينية.[٨٠] حيث قال كلوفس في ذلك: «من الصعوبة بمكان أن أجد جزءًا من غالة يحتله الأريوسيون، كذلك منحتهم عطف الإمبراطور الشرقي انستاسيوس Anastasius (ت ٥١٨م) الذي بارك ملكه.»[٨١] وظلت العلاقة مع إمبراطور الشرق طيبة إلى أن ساءت العلاقة بين روما والقسطنطينية على عهد البابا جريجوري الثاني (٧١٥ - ٧٣١م)، والذي كان معاصرًا لإمبراطور الشرق ليو الأيسوري،[٨٢] بسبب سياسته اللاأيقونية التي لم ترض عنها البابوية في الغرب. وسار البابا جريجوري الثالث (٧٣١-٧٤١م) على النهج نفسه، وهذا ما دفع الإمبراطور إلى أن يصدر مرسومًا بتحديد سلطة البابوية في جنوب إيطاليا، التي كانت تحت الحكم البيزنطي، ثم قام بفصل الأسقفيات البيزنطية في جنوب إيطاليا عن سلطة البابوية.[٨٣]

كانت البابوية، على الرغم من قوة مركزها في الغرب الأوربي، تستعين بالإمبراطور اليزنطي كسند دنيوي، لذلك كان عليها أن تجد البديل في الغرب الأوربي، وكان أمامها اللمبارديون، ولكنها كرهت أن تستعين بهم، فاتجهت إلى مملكة الفرنجة التي قضت على مملكة اللمبارديين في إيطاليا. ووجدت البابوية الحماية عند الفرنجة ممثلة في شخصيتين، الأولى: بيبين القصير (٧٤١ - ٧٦٨م)، وهو الذي مدّ يد العون للبابوية لحاجته إلى تأييدها في تتويجة ملكًا بعد أن كان رئيسًا للبلاط الفرنجي،[٨٤] والشخصية الثانية التي وجدت التأييد على يدها كانت ابنه شارلمان الذي توجه البابا ليو الثالث Leo III ليلة عيد الميلاد سنة ٨٠٠م.

ولعب هذا التأييد وذلك التتويج دورًا خطيرًا ليس لشارلمان، الذي قدر له أن

(٨٠) حول حروب كلوفس مع القوط الغربيين، وكذلك القضاء على دولة البرجنديين في غالة واللمبرديين في إيطاليا انظر: Gregory of Tours, *History,* 11:34, 36, 37.

(٨١) Ibid., 11:38.

(٨٢) لتفاصيل الخلاف بين روما والقسطنطينية حول المسألة اللاإيقونية انظر: Theophanes, *The Chronicle of Theophanes* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1954), 4:10.

(٨٣) Theophanes, *Chronicle*, 4:13.

(٨٤) Burr, "Carolingian Revolution," 589.

يحيي الإمبراطورية الرومانية في الغرب، بل بالنسبة للبابوية نفسها التي قطعت الصلة بينها وبين بيزنطة بتتويج شارلمان امبرطوراً في الغرب. هذا بالإضافة إلى أن البابوية جعلت التاج الإمبراطوري في الغرب يبدو في صورة منحة من البابوية. وهذه مسألة ستلعب دوراً خطيراً في النزاع بين الإمبراطور والبابوية أو الدولة والكنيسة فيما بعد،(٨٥) ذلك أن الفرنجة لم يسمحوا للسلطة الدينية أن تنازعهم اختصاصاتهم أو أن تعلوا فوق سلطتهم، وهذا بالرغم من كل ما أظهروه من محالفة للبابوية والوقوف إلى جانبها ومساندتها والقضاء على مملكة اللمبارديين في إيطاليا.(٨٦)

وهكذا فقد أتاح اعتناق الفرنجة للمسيحية على المذهب الكاثوليكي الفرصة لمملكة الفرنجة في الاستمرار والبقاء نتيجة التحالف بين الفرنجة والكنيسة الكاثوليكية، وأدى ذلك إلى الامتزاج بين العنصر الروماني والعنصر الجرماني.

واتخذت الحروب التي خاضها الفرنجة منذ عصر كلوفس وحتى عصر الإمبراطور شارلمان طابعًا دينيًا: فقد قضى كلوفس على الممالك الجرمانية الأريوسية في غالة، كما واصل شارل مارتل (ت ٧٤١م) جهوده في محاربة حكم العرب المسلمين في غرب أوربا،(٨٧) وحارب شارلمان العناصر الجرمانية الوثنية التي كانت تجاور حدود بلاده السياسية مثل قبائل السكون والافار والسلاف.

وبالإضافة إلى ذلك، لعبت البابوية دوراً مهمًا في إعطاء الفرنجة الفرصة لتكوين إمبراطورية رومانية مقدسة في الغرب، وهي إمبراطورية منافسة للإمبراطورية الرومانية في الشرق، تلك الإمبراطورية التي أعلنت الحرب على عبادة الإيقونات.

مملكة اللمبارديين في إيطاليا (٥٦٨ - ٧٦٨م)

عندما غزا اللمبارديون إيطاليا كانت غالبية السكان يعتنقون المسيحية، وقد اعتنق

---

(٨٥) عن تفاصيل علاقة شارلمان بالبابوية انظر: Seeliger Gerhard, "Conquest and Imperial Coronation of Charles the Great," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1981), 2:598.

(٨٦) الشيخ، *الممالك*، ٢١٢.

(٨٧) لتفاصيل أكثر عن حروب شارلمان انظر: جوزيف نسيم يوسف، *تاريخ العصور الأوربية وحضارتها* (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤م)، ١٥٥.

اللمبارديون الديانة المسيحية، ولكن على مذهبها الأريوسي وذلك خلال إقامتهم في منطقة بانونيا. ومن المؤكد أن أريوستهم أوجدت هوة سحيقة بينهم وبين سكان إيطاليا الكاثوليك، ويبدو أنه منذ اللحظة الأولى أظهر اللمبارديون كراهية للكنيسة الكاثوليكية، ولم يتورعوا عن العبث بالكنائس والأديرة. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وصل إلى درجة مضايقة الأساقفة والرهبان وإلحاق الأذى بهم، إلا أن الأمر لم يصل إلى درجة الاضطهاد العنيف التي مارسها الوندال مع رعاياهم الكاثوليك في أفريقيا.(٨٨)

وقد ظل اللمبارديون على أريوستهم إلى أن اعتلى البابا جريجوري العظيم Gregory the Great (٥٩٠ - ٦٠٤م) كرسي البابوية، وكان جل همه نشر الكاثوليكية بينهم، وقد أرسل إلى جميع أساقفة إيطاليا يطلب إليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم لتحويل اللمبارديين عن الأريوسية.(٨٩) هذا بالإضافة إلى تأثير الملكة تيوديلندا Theodilinda الكاثوليكية زوجة الملك أوتاري ومن بعده الملك أجيلوف Agiluf. وقد عمدت ابنها على المذهب الكاثوليكي عام ٦٠٢م، وانتعشت الكاثوليكية في فترة وصايتها على ابنها (٦١٦-٦٢٦م)، وقد انتشرت الكاثوليكية بين اللمبارديين على يد الراهب الإيرلندي كولومبان (٥٤٣-٦١٥م)، وأعلنت المملكة اللمباردية تحولها للكاثوليكية عام ٦٩٨م.(٩٠)

ولكن تحول اللمبارديين إلى الكاثوليكية لم ينجح في حل عقدة العداء المتأصل في الكنيسة الغربية نحوهم، فقد كانت إيطاليا في ذلك الوقت مقسمة بين بيزنطة واللمبارديين والبابوية،(٩١) ولم يتفق كل من البابوية وبيزنطة على شيء قدر اتفاقهما على كراهية اللمبارديين.(٩٢) ولقد ظلمت البابوية اللمبارديين حتى بعد أن نبذوا

(٨٨) محمود محمد الحويري، *اللمبارديون في التاريخ والحضارة ٥٦٨-٧٧٤م* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦م)، ١٨٠.

(٨٩) هادريل، *أوربا*، ٧٣.

(٩٠) الحويري، *اللمبارديون*، ١٨٣.

(٩١) لتفاصيل أكثر انظر: هـ. سانت موس، *ميلاد العصور الوسطى ٣٩٥-٨١٤م*، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦٧م).

(٩٢) L.M. Hartmann, "Italy under the Lombards," in *The Cambridge Medieval History* (Cambridge: University Press, 1981), 2:220-21. وأيضًا: الحويري، *اللمبارديون*، ١٢٣.

الأريوسية ونسجت البابوية خطة للتخلص من اللمبارديين في إيطاليا مع دولة الفرنجة، التي رفعت راية الدفاع عن الكاثوليكية. وكان من أهم أهداف البابوية في إيطاليا التخلص من اللمبارديين لتصبح مستقلة عن الدولة وليس جزءاً منها.

ويوضح هذه الرؤية جوزيف نسيم يوسف نقلاً عن المؤرخ الأمريكي جون لامونت في قوله: [٩٣] «إن اللمبارديين أثاروا حفيظة البابوية عليهم حينما كان يراودهم حلم توحيد إيطاليا كلها في الوقت نفسه الذي كان فيه الباباوات يفضلون أن يكونوا هم أنفسهم حكام روما، حيث كان الجهاز الكنسي البابوي في الغرب قد بلغ ذروته وأصبح قوة دينية ودنيوية هائلة.»

وعندما تفجرت المشكلة الإيقونية في الإمبراطورية البيزنطية ونشب الصراع بين الإمبراطور ليو الإيسوري (٧١٧ - ٧٤٠م) وبين بابا روما، انطلقت البابوية للبحث عن بديل تعتمد عليه بدل بيزنطة، فاتجهت إلى الفرنجة في غالة الذين أزالوا من أمامها خطر اللمبارديين. وهكذا فتح الباب أمامها لتأسيس الدولة البابوية، وبعد أن أدارت البابوية ظهرها لبيزنطة دخلت في حلف مع ملوك الفرنجة، وفي أقل من نصف قرن من هذا الاتحاد ولدت الإمبراطورية الرومانية في الغرب. [٩٤]

خاتمة

نخلص مما تقدم إلى أن الصراع الديني أو حرب المذاهب الدينية الذي نجت منه منطقة أوربا الغربية، والذي تحاشته الكنيسة الغربية قدر الإمكان، قد وجدت نفسها أمامه على أيدي القبائل التيوتونية «الجرمانية» التي اجتاحت الغرب الأوربي وكونت

---

(٩٣) يوسف، *تاريخ العصور*، ٨٤.

(٩٤) ولتفاصيل أكثر عن علاقة روما بالفرنجة انظر: Theophanes, *Chronicle*, 4:11 (Cambridge: University Press, 1779) وانظر: G. Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, trans. Joan Hussey (1980), 170. لتفاصيل أكثر عن القطيعة بين الشرق والغرب انظر: عادل زيتون، *العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى* (دمشق: مطبعة إحياء التراث، ١٩٨٠م)؛ وأيضاً: Hodgkin, *Italy*, 8:1 .

على أرضه ممالك على أنقاض الإمبراطورية الرومانية في الغرب، ويصور لنا هذا الصراع روح العصور الوسطى، حيث وقفت فيه الكنيسة الكاثوليكية وقفة المحارب، ولم تسمح للأريوسية، المذهب الممقوت لديها بالبقاء على أرضها.

ويرجع سر عداء رجال الدين الكاثوليك الغربيين للمذهب الأريوسي إلى أنهم في مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م[٩٥] اعتبروا أن المؤمن بالمذهب الأريوسي عدواً للمسيح، وبالتالي عدواً للكاثوليك الغربيين أنفسهم وناصبوا العداء كل من آمن بذلك المذهب. وتعليقًا على كره الرومان للجرمان الآريوسيين قال القديس ساليان Salien: «إن آثامهم وبعدهم عن الدين المستقيم هو من صنع الرومان ذلك لأن المبشرين الرومان هم الذين أدخلوا التعاليم الأريوسية إلى المجتمع الجرماني.»[٩٦]

ومن الملاحظ أنه في ظل الحكام الأريوسيين عاش الرعايا الرومان منفصلين عنهم عقائديًا واجتماعيًا مدة طويلة، ولم يكن هناك من رابط يربطهم أو يقربهم من الحاكم سوى رباط التبعية المشتركة للحكم الجرماني.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الحياة السياسية والإدارية لم تتغير بل بقيت كما هي على أيدي الرومان، والتغير الذي حدث تمثل في شخصية الحاكم. ولم يكن للرومان اعتراض على هذه الناحية، حيث إنهم لم يقاوموا وجودهم كحكام. ولكن قاوموا اختلاطهم بهم كأشخاص يؤمنون بعقيدة مخالفة لعقيدة الرومان.

ومن الملاحظ أنه نتيجة لدراسة العلاقة بين القوط الغربيين والأريوسيين وبين الرومان من جهة أخرى في غالة أولاً، ثم في أسبانيا ثانيًا، وجد أنه كان لتحول القوط الغربيين إلى الكاثوليكية أثره البالغ في استقرار الأحوال الداخلية لدولة القوط الغربيين. وامتد ذلك الأثر إلى العلاقات الخارجية، وخصوصًا مع البابوية والدولة البيزنطية اللتين تحسنت علاقتهما مع دولة القوط الغربيين تحسنًا ملحوظًا، ولكن لجأ القوط إلى عداء ديني جديد بينهم وبين اليهود، الذين كونوا طائفة كبيرة العدد في أسبانيا.

---

(٩٥) عبيد، من *ألاريك*، ٦٩.

(٩٦) عبيد، من *ألاريك*، ٦٩.

وانتهى الاضطهاد الديني الذي سلكته مملكة القوط الغربيين في أسبانيا إلى تدبير المؤامرات للإطاحة بالدولة. وسقطت دولة القوط الغربيين على يد العرب المسلمين الفاتحين بسبب الاضطهادات الدينية وعدم تماسك الدولة والشعب أمام تلك الفتوحات.

ولم يختلف الأمر بالنسبة لمملكة البرجنديين: فبالرغم من تحول ملوك البرجنديين إلى الكاثوليكية إلا أنها ذهبت ضحية اعتناقها للأريوسية مما جعلها مكروهة من الكنيسة الكاثوليكية، حتى بعد اعتناقها الكاثوليكية، مذهب الكنيسة الغربية، وذهبت كذلك ضحية الغيرة الدينية التي اتخذها الفرنجة ستارًا ليخفوا وراءها أطماعهم في استخلاص منطقة غالة كمملكة فرنجية لا يقاسمهم فيها أحد من الجرمان. وقد سبق لهم أن استخلصوا لأنفسهم المناطق التي كانت تابعة للقوط الغربيين الذين حاربوهم أيضًا تحت ستار الغيرة الدينية. أما سقوط مملكة أدواكر في إيطاليا، فيعود إلى الصراع الجرماني حول أراضي الإمبراطورية الرومانية التي سقطت في الغرب.

وبالرغم من التسامح الديني الذي اشتهر به الملك القوطي الشرقي ثيودوريك، مؤسس مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا، إلا أن مملكته سقطت نتيجة الاضطهادات ضد الأريوسية في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية ذلك القسم الذي أظهر مشاعر الرومان في إيطاليا ضد القوط الأريوسيين، ولاقت مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا نفس المصير الذي لاقته مملكة الوندال في أفريقيا، فقد انتصر جستنيان العظيم للكاثوليكية بالقضاء على الدولتين. وكان هدف سياسة جستينيان الدينية هو توحيد جميع رعايا العالم الروماني في ظل كنيسة واحدة يسيطر عليها بنفسه. وهو أمر يوضح رغبته في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، وذلك لأن اتحاد الكنيستين له أهمية خاصة في سياسة الاسترداد التي انتهجها.[٩٧]

ولاقت مملكة اللمبارديين في إيطاليا أيضًا المصيرنفسه الذي لاقته الممالك السابقة، فقد كان اللمبارديون على المذهب الأريوسي وتحولوا إلى الكاثوليكية، ولكن هذا التحول لم يشفع لهم، ولم ينجح في حل عقدة العداء المتأصل في الكنيسة الغربية

(٩٧) J.B.Bury, *History of the Later Roman Empire* (London: Macmilan, 1889), 1:365.

ضدهم. ولقد ظلمت البابوية اللمبارديين بعد أن نبذوا الأريوسية، ونسجت البابوية خطة للتخلص من اللمبارديين في إيطاليا مع الدولة الفرنجية التي رفعت راية الدفاع عن الكاثوليكية.

وكانت الممالك التي تحولت إلى الكاثوليكية مباشرة، دون أن تعتنق الأريوسية، أكثر توفيقًا من غيرها، إذ استطاعت إزالة الفوارق والعوائق التي كانت تقف في وجه غيرهم من الجرمان للتقارب والامتزاج بين الشعوب الجرمانية من جهة، وبين السكان الأصليين ورجال الدين من جهة أخرى. وليس أدل على ذلك من تحالف البابوية مع دولة الفرنجة، ذلك التحالف الذي أعطى حكامها فرصة لتكوين إمبراطورية رومانية مقدسة في الغرب، إمبراطورية منافسة للإمبراطورية الرومانية الشرقية التي أعلنت البابوية الحرب عليها منذ أن أعلنت هي الحرب على عبادة الإيقونات.

وفي هذا يقول جريجوري التوري: [٩٨] «أن أقوم بعملية مقارنة بين أولئك الذين آمنوا بالثالوث المقدس holy trinity والمصائب وقعت على أولئك الذين حاولوا أن يهدموها...» وهنا يبدأ جريجوري في الحديث عن الأنبياء مبتدأ بسيدنا إبراهيم ومنتهيًا بداود. ومن ثم انتقل إلى فترة كتابته وتحدث عن أريوس Arius[٩٩] ووصفه ذلك الشيطان في شكل رجل، وكيف أنه فقد أمعاءه في الحمام، وأنه أرسل إلى نار جهنم، كما تحدث القديس هيلاري Hilary، [١٠٠] وكيف دافع عن الثالوث الذي لا يتجزأ وأنه قد أرسل إلى المنفى. ووفقًا لقول جريجوري التوري، فلأن القديس هيلاري فعل ذلك فقد قام بحفظ وطنه وذهب إلى جنة الخلد، ويضيف جريجوري التوري وهذا كلوفس الذي آمن بالثالوث قام بسحق الهرطقة وذلك بالمساعدة الإلهية ووسع مملكته لتشمل كل غالة، ولكن ألاريك[١٠١] الذي رفض الثالوث فقد حرم من مملكته وشعبه وحياته، ولم

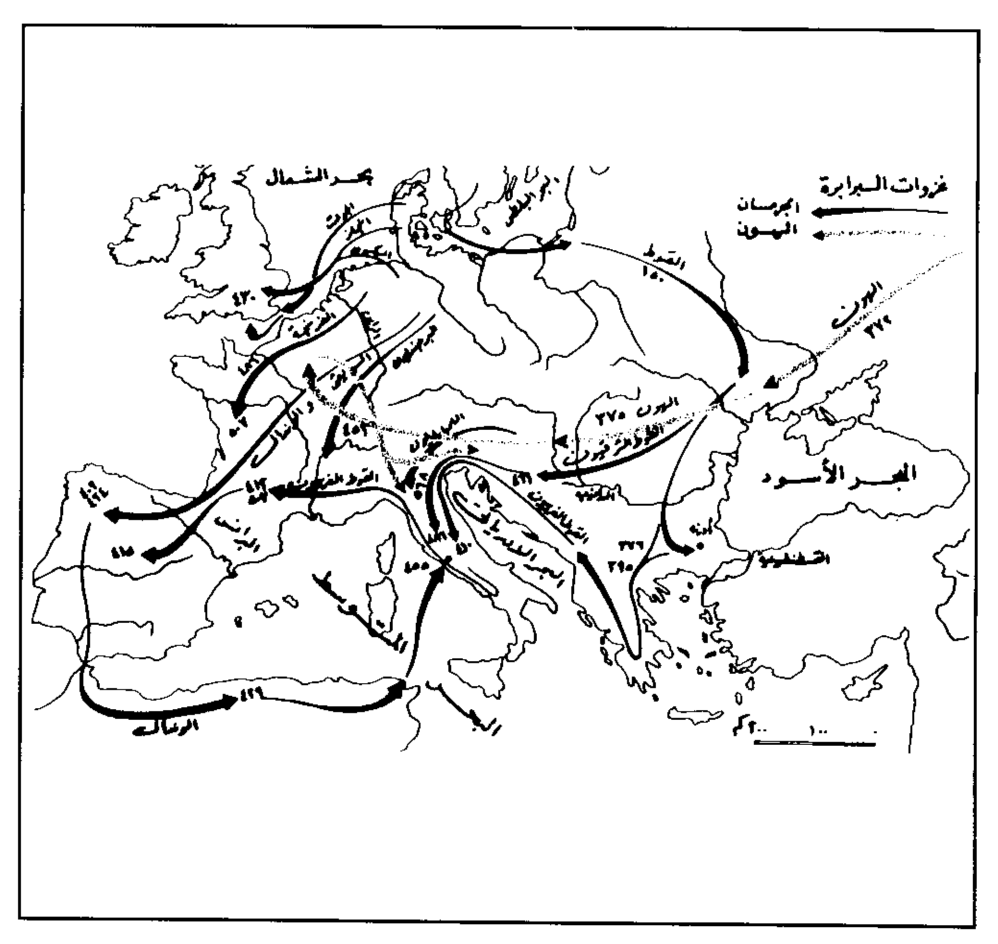
(٩٨) Gregory of Tours, *History*, 3:1:161.

(٩٩) أريوس هو أسقف من مدينة الإسكندرية والذي ينسب إليه المذهب الأريوسي الذي يدعو إلى التوحيد، ولذلك اعتبر مذهبه بين دعاة عبادة الثالوث هرطقة.

(١٠٠) سانت هيلاري: أسقف مدينة بواتييه الذي تمسك بعبادة الثالوث، نفي إلى فرجينا سنة ٣٥٦م.

(١٠١) ألاريك الثاني: ملك القوط الغربيين والذي كان على المذهب الأريوسي.

يحـصل الهـراطقـة على أي مكسب وليس مـوت كل من جـوديسل Godigisel [١٠٢] وجندوباد Gundobad وجـودمار Godomar إلا برهان على هذا، كمـا يقـول جريجـوري التوري .



الغزو الجرماني للإمبراطورية الرومانية
نقلاً عن: Painter, *Middle Ages*, 27

(١٠٢) ملوك برجندي كانوا على المذهب الأريوسي .

The Impact of the Religious Sects on the Rise and Fall of the Germanic Kingdoms from 412-800

Aisha S. Abul-Jadayel
Assistante Professor, Department of History, College of Arts.
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. The Germanic kingdoms that rose in west Europe on Roman soil, are divided into two parts: the first part-those who converted to the Arian form of Christianity - were the Visigoths in Aquitaine (412-507) and later in Spain (507-711), the Vandals in North Africa (429-534), the Burgundians along the Rhone and Saon (443-534), the Ostrogoths in Italy (493-553), and finally the Lombards in Italy (568-774). The second part includes the Franks, who expanded from the frontier of the Rhine to the south-west until they reached the Somme during the 5th century. Under the Merovingians they went under the name of the ruling family knovnas the Carolingians in 743. Charlemagne, of the same family, was crowned Emperor in 800 by Pope Leo III.

The Franks were converted to Christianity in the Catholic form, and this was the secret behind its crystallization in what was to become France and Germany. Since Arianisim denied the doctorine of the Trinity, the Catholic church as well as the Romans hated the Arians and regarded them as heretics.

The Franks as Catholics subordinated themselves to the Pope. The papacy tied itself to the ruling house of the Franks after the break between Rome and Byzantium over the iconolastic dispute and this kingdom developed to become the Holy Roman Empire. So, whereas the Franks were destined to play a lasting role in later times, the other Germans vanished without leaving their name attached to any enduring historical works. This result, no doubt, was due to the religious impact which left profound differences separating the Arian Germanic kingdoms from Roman society on one hand, and causing the fall of their kingdoms on the other hand.